أنا والصحراء

لراهبي الراعي

وقفت امس في قلب الصحراء وحادثتها ، واليك ما دار بيننا :

— ما انت ومن انت ايتها الصحراء

— انا كفّ مبسوطة تسول الماء

— وماذا ايضاً

— انا صرعة الخيل

— وماذا ايضاً

— انا ثورة ثائرة ساكنة

— بماذا تفكّرين ايتها الصحراء

— بقمة مجدي القديم التي تلاشت في رحابتي وطول مداي

— وما الذي جعلك رحبة وطويلة المدى

— هوى الطيمة ، والطيمة كالمرأة لها اهواء

— وهذه الرمال فيك ما هي

— انها الارقام في جدولي بل هي النظرات في عيني بل هي القطرات في دمي...

هي مواليد ارحامي تقيم في احضاني واذا شئت فقل هي النجوم في سمائي

— كيف انت والجَمَل

— انهُ رفيقي القديم احبّهُ ويحبّني ويعانق صبره صبري

— وعلى ايّ شيء تصبرين

— اصبر على آلامي

— ولمَ تتألمين

— أتألم من عقمي

— وهل ينطوي قلبك على قوة الانتاج

— نعم ، وهذا ما يزيد في ألمي

— ولم لا تنتجين

— لانني نادٍ تأكل قمها

— من هي عدوتك ايتها الصحراء

— عدوتي هي الروضة الخضراء النضّاء

— وما هو الشيء الذي تشتهينهُ

— الظل ، ظل الشجرة ... أن الظلال هي الاحلام التي لا يمرّ سواها في خاطري

— كيف ترين البحر

— انا البحر في موته ... انا جثّة البحر ملقاة على الحضيض

وكيف ترين الافق

— رمالي نجومه وشمسه أُفقي

— أعمين الهدى

— لو كنت اعميهُ لما كنت الصحراء ... انا ابنة التيه والتائهين ، انا وطن الحائر

— ولم لا ترحمين العابرين

— لا ارحمهم لانهم لا يرحمون احداً

— كيف أنت والموت

— أنا من حصّاداته المؤتمرات امره

— وأين هم قتلاك

— هم في بطوني وعظامهم مبعثرة في رياحي

— لو جئتك بالمرآة فأين ترين نفسك فيها

— أراني وأنا العربانة العقيمة في عريها وعقمها

— كيف أنت والفلاسفة

— أنا أفنهم التي تلتقط أصواتهم التي لا يلتقطها الناس . . انهم يصيحون في رمالي التي لا يسمعهم سواها ، ان فلسفاتهم التي يضيعها الناس تضيع في اعماقي

— كيف أنت والحطباء

— نصفهم يقفون على منبري

— لم أنت الصحراء

— أنا الصحراء لتبقى لك الجنة تستلذها وليبقى لك الماء تستطيبه . . . ألا ترى أنهُ لولا الليل لم يكن للنور سناه ولولا المعاناة لم يكن للحسن روحه . . . ان الله أقامني رحمة بك . . . لقد اماتني لتحيا ونشرني لتطوي مراحلك في الوجود قائماً طروباً

— وهل أنت راضية بهذه التضحية . . ألا تؤثرين ان تكوني الحيل او الينبوع او الروضة

— لا لست راضية ولذلك أثأر من الذين يجتازونني فأضلّهم

— أيتها الصحراء أيتها الصحراء سأجعلك غاية غياء

— ومن تكون

— شاعر يحلم . . .

— بربك يا شاعري ارحني من وطأتي ، اجعلني في خيالك انجاراً خضراء لأستريح فيك ساعة من الزمن ، ارحمني ارحمني يا ابن الخيال فأنا امرأة بائسة مقهورة قاحلة مهجورة . . . غذّني عائك وبرّد لظاي بشعرك . . . ارفعني من حضيضي الى سمائك ودعني اتنشّق هواء الخيال وعبير الرياض . . . اجمع شملي الشتيت واقرني في مملكتك قفراً لجبل اوقفراً لينبوع اونهر أو جنة . . . ارحمني أيها الشاعر واسترعُربي ارحمني . . .